مجلة العاصمة

مجلة بحثية سنوية محكّمة

المجلد الخامس عشر، ٢٠٢٣ م

معامل التأثير العربي: 3.12

ISSN (Print) : 2277-9914 e-ISSN (Online) : 2321-2756

قسم اللغة العربية، كلية الجامعة

تيروفانانتابورام، كيرالا، الهند

العنونة الصريحة والإيحائية في شعر عبد الكريم راضي جعفر

- م . م . زين العابدين سالم مردان المياحي

كلية التربية، جامعة البصرة، البصرة، العراق

الملخص

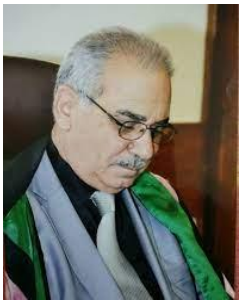

يعد العنوان أول ما يشد المتلقي للغوص في الكتاب، لذا فعتبة العنوان مهمة لخلق العلاقة بين المتلقي والمؤلف. فالعنوان كنص صغير هو أول لقاء يحصل بين الكاتب والقارئ. فلولا العناوين لظلت كثير من الكتب مكدسة في رفوف المكاتب، فكم من كتاب كان عنوانه سببا في ذيوعه وانتشاره، وشهرة صاحبه، وكم من كتاب كان عنوانه وبالا عليه وعلى صاحبه. تهدف هذه الدراسة المعنونة بـ (العنونة الصريحة والإيحائية في شعر عبد الكريم راضي جعفر) إلى دراسة العناوين التي وضعها عبد الكريم راضي جعفر في قصائده ومعرفة السبب الذي دفعه لإطلاق هذه العناوين ومعرفة المغزى الأساسي من وضعها، ومعرفة كيف ينظر الشاعر عبد الكريم راضي جعفر على العنونة. يقوم البحث على جانبين يسبقهما تمهيد يتناول نبذة مختصرة عن حياة الشاعر عبد الكريم راضي جعفر. أما الجانب الأول فيتناول تمهيدا نظريا للعنوان ومفهومه في اللغة والاصطلاح، وجاء الجانب الثاني من البحث ليتناول الجانب التطبيقي تحت عنوان العنونة الصريحة والإيحائية في شعر عبد الكريم راضي جعفر.

الكلمات المفتاحية: العنونة الصريحة، العنونة الايحائية، عبد الكريم راضي جعفر، عناوين حكائية

التمهيد

نبذة عن عبد الكريم راضي جعفر العلي:

ولد الدكتور عبد الكريم راضي جعفر في العراق -البصرة- في قضاء القرنة ١٩٤٦. حصل على شهادة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها من جامعة البصرة - كلية الآداب ١٩٦٧ – ١٩٦٨، ومنحت شهادة الماجستير في (الأدب الحديث والنقد) من جامعة البصرة كلية الآداب ١٩٨٥ وبدرجة (امتياز)، كما منحت شهادة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية (الأدب الحديث والنقد) من جامعة بغداد - كلية الآداب وبدرجة (امتياز). امتازت نصوصه الشعرية بعلاقتها المتجذرة مع الأرض، وبذلك استطاع نقل هذه العلاقة إلى حيز التفرد. فامتازت نصوصه ببصمته الخاصة، ويعد من الأجيال الشعرية التي تشكل حيوية نهر الشعر في العراق، إنها تموجات متتالية تنبثق من بعضها البعض لتمهد الطريق لاندفاع النهر وجيشانه الحميم. كتب الشاعر القصيدة العمودية، والشعر الحر، وقصيدة النثر؛ وأسهم في تطور الشعر العراقي المعاصر ولفت أنظار النقاد في الوطن العربي. فكتب عن شعره فاروق شوشة ومحسن الخياط في عام ١٩٧٢ في مجلة الآداب. وتعد نصوصه الشعرية مثارا للنقد وقد كُتبت العديد من الدراسات والمقالات التي تناولت شعريته. أما مكانته بوصفه شاعرا فله قصب السبق إذ يعد واحدا من أهم الشعراء المعاصرين. كان لصلته القربى التي تربطه بالدكتور نوري جعفر أثر في تشكل وعيه.

أولاً: الجانب النظري

- **العنوان لغة:**

للعنوان في اللغة معان عدة ترجع في أصلها اللغوي أولا إلى مادة (عَنَنَ) وذُكِرَ منها: "عنَّ الشيء يعِنُّ ويَعُنُّ عَننًا وعُنُونًا: ظهر أمامك، وعَنَّ يَعِنُّ يَعُنُّ عَنّاً وعُنُوناً واعْتَنَّ: اعْترضَ وعَرَض وعَنَنْتُ الكتاب وأَعَنَتهُ لكذا أي عرّضْتُهُ له وَصَرفتهُ إليه ...وعَنَّ الكتاب يَعُنُّهُ عَنّاً وعَنَّنهُ: كَعَنْوَنهُ، وعنْونْتَهُ وعَلْوَنْتَهُ بمعنى واحد، مشتق من المعنى ... ويقال للرجل الذي يُعرَّضُ ولا يُصرِّحُ: قد حصل كذا وكذا عُنْواناً لحاجته ...قال ابن بري: والعُنوانُ الأثر ... "([1]).

يعدّ العنوان جزءا من الفضاء النصي، وهو أول ما يشغل حيزا على الورق ويتصدر أغلفة الدواوين والمجموعات الشعرية والقصائد على حد سواء. والعنونة الشعرية تركيب لغوي مختصر ينظمه الشاعر بأسلوب شاعري جذاب يعبر في الأغلب عن مضمون العمل الشعري وهو نص مواز أو مقطع في أول النص يحدد الرؤيا الشعرية([2]). والقراءة الفاحصة للدلالات اللغوية المتعلقة بالمادتين (عَنَن، وعَنَا)، تبرز لنا معان عدة للعنوان قارة بالمعنى الاصطلاحي، ففي (عَنَن) تظهر دلالات (الظهور، والاعتراض، والعرض، والتعريض، والأثر، والاستدلال)، وفي (عنا) تظهر دلالات (الظهور، والخروج، والقصد، والإرادة، والوسم أو السمة، والأثر). (فالظهور والخروج والتعريض والعرض) أولى سمات العنوان لما له من الصدارة بوصفه (أول لقاء بين القارئ والنص)، فيظهر ويبرز ويعترض ويعرض أمام القارئ للتعريف بالكتاب وبمادته بعد كمونه وخفائه، أما الإشارة إلى (القصد والإرادة) فهي تنطلق على أساس أن لا اعتباطية في العنوان، وأن فيه مقصدية من نوع ما تقود المتلقي إلى تتبع مرجعياته سواء أكانت مرجعيات ذهنية أم فنية أم سياسية أم فكرية بوصف العنوان لافتة دلالية ذات طاقات مكتنزة([3]).

- **العنوان اصطلاحا:**

حظي العنوان بعناية بالغة منذ ثلاثة عقود خلت برزت فيها دراسة العنوان في إطار كونه علامة ضمن منظومة إجرائية هي "علم العنوان، العنونة" La Titrologie، وقد ظهرت إرهاصات هذا العلم ابتداء من سنة ١٩٦٨ عند العالمين الفرنسيين فرانسوا فروري واندري فونتانا من خلال دراستهما: عناوين الكتب في القرن الثامن عشر. ولكن يبقى الناقد الفرنسي (ليوهوك) من أكبر المؤسسين المعاصرين لعلم العنونة محددا معالمها التحليلية، فقد عرف العنوان بوصفه مجموعة العلامات اللسانية من (كلمات وجمل وحتى نصوص) تظهر على رأس النص لتدل عليه وتعينه، وتشير إلى محتواه الكلي، ولتجذب جمهوره المستهدف، وعده (جيرار جينت) من بين أهم عناصر المناص أو ما يعرف بالنص الموازي انطلاقا من تحديدات موقعه ووظائفه، وعده إمبرتو إيكو (مفتاحا تأويليا يسعى إلى ربط القارئ بنسيج النص الداخلي والخارجي ربطا يجعل من العنوان الجسر الذي يمر عليه)، ورآه الناقد (الروسي اوسبنكي) عنصرا بنائيا يشتبك مع غيره من عناصر العمل لتأسيس منظور الكاتب، وعقيدته التي هي جزء مهم من رؤيته للعالم، وعده (جان كوهين) جزءا من التشكيل اللغوي للنص. ويقدم الباحثون العرب ممن أبدوا عنايتهم بالعنوان مجموعة من التعريفات التي لا تبتعد كثيرا عن تعريفات النقاد

---

[1] – عنونة الكتب النقدية عند حاتم الصكر: دراسة تحليلية، زهراء خالد يونس الحديدي، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، ٢٠١١م: ٩

[2] – ينظر: شعرية العنونة، عز الدين المناصرة نموذجا، حيدر محمد جمال، جامعة دمشق، مقال نشر في مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد التاسع عشر، العدد الثاني: ١٢٠٧ – ١٢٣٦، يونيو ٢٠١١

[3] – ينظر: عنونة الكتب النقدية عند حاتم الصكر: دراسة تحليلية، زهراء خالد يونس الحديدي: ٩

الغربيين، فبسام قطوس يعد العنوان نظاما سيميائيا ودلاليا له بنيته السطحية ومستواه العميق مثله مثل النص ما يغري الباحث بتتبع دلالاته محاولة منه الوصول إلى العمق عن طريق فك شيفراته الرامزة. وجعله على جعفر العلاق (مدخلا إلى عمارة النص وإضاءة بارعة وغامضة لأبوابه وممراته المتشابكة ...)، وعرفه آخر: بأنه المفتاح الأساسي الذي يتسلح به محلل النص للولوج إلى أغواره العميقة قصد استنطاقها وتأويلها. مما يجعله (نقطة التقاطع الاستراتيجية التي يعبر منها النص إلى العالم والعالم إلى النص، تنتفي الحدود الفاصلة بينهما ويحتاج كل منهما إلى الآخر)، وبهذا نصل إلى أن العنوان صاحب السلطة بوصفه رسالة لغوية تعلو لتسمه وتحدده، فيصبح نصا آخر مقابل النص الأصلي، وتغري القارئ وتحمله على مغامرة القراءة ودوامها"([1]).

فالعنوان يعد من بين أهم عناصر المناص (النص الموازي) لهذا فإن تعريفه يطرح بعض الأسئلة ويلح علينا في التحليل فجهاز العنونة كما عرفه عصر النهضة أو قبل ذلك العصر الكلاسيكي كعنصر مهم، كمجموع معقد أحيانا أو مربك، وهذا التعقيد ليس لطوله أو قصيره، ولكن مرده مدى قدرتنا على تأويله([٢]). فهو عبارة عن كتلة مطبوعة على صفحة العنوان الحاملة لمصاحبات أخرى مثل اسم الكاتب أو دار النشر والمهم في العنوان هو سؤال الكيفية أي كيف يمكننا قراءته كنص قابل للتحليل، والعنوان هو سؤال الكيفية أي كيف يمكننا قراءته كنص قابل لتحليل يناص نصه الأصلي؟ وهذا ما ناقش فيه (جينيت) كل من (كلود دوشي، ولوي هويل) كمختص في هذا المجال حيث يرى (لوي هويك) بأن العنوان هو ما نسميه اليوم بـ (zadig) أي العنوان الأصلي، فكل ما يأتي في الجزء الأول قبل الفاصلة هو العنوان، أما الذي بعده فهو العنوان الفرعي([٣]).

ثانياً : الجانب التطبيقي

- **العنونة الصريحة والإيحائية في شعر عبد الكريم راضي جعفر**

أولاً : العنونة الصريحة :

تفصح العنونة الصريحة عن دلالة العنوان الحقيقية بنحو مباشر إلى المتلقي من دون إبهام أو غموض، فالعنوان في ضوء هذه العملية لا يحدث لبساً فنياً عند قارئه الذي لا يجد صعوبة في تأويل الدلالة التركيبية اللغوية للعنوان، لأن اللغة التي تشكل هذا النوع من العناوين هي لغة نثرية تقريرية (تحاول أن تبتعد ... عن الاستعارات بعيدة الأطراف التي تحتاج إلى أعمال الذهن، وتستعيض عن هذا التوجه باستخدام الوضوح الدلالي). فالعنوان المباشر هو عتبة عبور سريعة وواضحة إلى الكتاب الذي اختاره بدوره للتعبير الصريح عن مضمونه الأساس أو العام، فـ(المكون العنواني إذاً من الثراء – في أغلب الحالات- ما يجعله دليلاً على النص بكامله، أو على جزء منه مستدرجاً إليه، كاشفاً عن طاقاته وحمولاته القولية والخطابية) وهي التي تحدد طبيعة القصيدة الشعرية وتشير بشكل مباشر الى موضوعها وتشمل:-

١- أسماء الأشخاص:

إن الأسماء الواردة في هذه العناوين تدل خلال القراءة الأولى على الانتماء المكاني والعرقي وتفصح عن توجه القصيدة وتوضح دلالتها. ومن أبرز الأمثلة التي وردت فيها أسماء شخصيات منها: قصائد وردت في كتابة زهرة

---

[1] – ينظر: المصدر نفسه: ١٢

[٢] – ينظر: عتبات جيرار جينيت من النص الى المناص، عبد الحق بلعابد، تقديم سعيد يقطين، ط١، ٢٠٠٨م الدار العربية للعلوم ناشرون: ٦٥

[٣] – ينظر: المصدر نفسه: ٦٧

البرتقال بعنوان (زهراء) و(علي) و(حسين) و(علياء) و(محمد ياسين) و(موسى كريدي) و(رياض أحمد) و(كريم ضنين) و(بريمر)(١). ووردت أيضا عناوين لقصائد بأسماء شخصيات منها (رفيف) و(بابا نوئيل) و(عبد الحسين عبد الرضا)(٢).

٢- عناوين حكائية :

وهي عناوين تتضمن الأسلوب الحكائي الإنشائي وتتناص مع الموروث بأشكاله المتعددة ومنها ما ورد في كتابة يقول المغني مثل: قصيدة بعنوان (المدونة السابعة/ حائط البكاء) متناص مع موروث وحكاية حمورابي ومسلته إذ يقول فيها:-

في الجنائن المعلقة
كان حمورابي
يعلق مدونته السابعة
على حائط من ذهب(٣)

وعنوان آخر بـ(مدونة الزقورة/سومر) حكاية من الموروث متناصة مع الحاضرة السومرية والزقورة، يقول:-

ينامون ببرد لهيف
بلا كفن أو ازار شفيف
كلهم (اورنمو) الذي أوقد الحب(٤)

وقصيدة أخرى بعنوان (كركيعان) حكاية من الموروث أيضا وكذلك قصيدة (حكاية نوح العراقي) متناصة موروثة من قصة النبي نوح (ع) وقصيدة (بابا نوئيل).

ثانياً: العنونة الإيحائية:

يتميز العنوان الإيحائي بأنه العنوان الذي يبتكره الناقد من مخيلته الإبداعية فيركز في تشكيله على الوظيفة الشعرية للغته. وعبر هذه الوظيفة يتفصل العنوان الفني الأدبي عن العنوان المباشر، وذلك حين يعبث الأول بالأعراف اللغوية السائدة، وتلك العلاقات المألوفة بين الدال والمدلول ويعقد عملية الاتصال، فالعنوان تبعاً لهذه الوظيفة يكتسب قوة مضاعفة على الإيحاء ولانهائية التأويل. والتوصيل الفني للدلالة الكامنة فيه، (إذاً، من الممكن جداً أن يؤسس العنوان لشعرية من نوع ما، حيث يثير مخيلة القارئ، ويلقي به في مذاهب أو مراتب شتى من التأويل، بل يدخله في دوامة التأويل، ويستفز كفاءته القرائية من خلال كفاءة العنوان الشعرية)، فهو يشحن الذهن ويغريه بالتحليل والتأويل لمعرفة مغزاه بحيث لا يبدأ المتلقي في تلقي النص أو في قراءة العمل المبدع من نقطة الصفر، وإنما يبدأ مما يؤسسه العنوان من معرفة أو إيحاء) وهذا يبين ما يلعبه المجاز أو الانزياح في العنوان من دور مؤثر حيوي في عملية التلقي، (فالعنوان، فضلاً عن شعريته ربما شكل حالة جذب وإغراء للمتلقي للدخول في تجربة قراءة النص، أو حالة صد ونفور ومنع) وفق طبيعة العنوان وصياغته الفنية.

---

١ – زهرة البرتقال، شعر عبد الكريم راضي جعفر: ٥٩، ١٦٣، ١٧١، ١٧٩، ١٨١، ١٩١، ١٩٥، ١٩٩، ٢٠١

٢ – يقول المغني، شعر عبد الكريم راضي جعفر: ١٧، ١٥٣، ١٩٩

٣ – المصدر نفسه: ١١

٤ – المصدر نفسه: ٤٥

ومما تجدر الإشارة إليه أن (آلية ولادة هذا العنوان.. تختلف بين ناقد وآخر، وأن عملية الاختيار تمر في مرحلة مخاض وتشابك خيوط كثيرة وتفاعلات في ذهن المؤلف تصهر فيها المواد الأولية لنسيجه الذي يتبلور في هيكل دلالي رمزي، ما يوحيه أكثر مما يدل عليه بشكل مباشر بمعنى أن المجاز أو الانزياح يلعب فيه دوراً كبيراً ومن ثم لا يفهم المقصود منه إلا بعد القراءة الفاحصة والتأمل العميق للدراسة النقدية الموسومة به)([١]). ومن أبرز الأمثلة على هذا النوع من العناوين في شعر عبد الكريم راضي جعفر قصيدة بعنوان (وجع القيامة).

وجعي عليك
كأن الطريق إليك من وجعي
دما والنافورة
شرر الحديد([٢])

فالقارئ الذي يقرأ العنوان يولد له معنى آخر إيحائي يجعله يفكر طويلا في العنوان ويدخله في دوامة التأويل قبل الدخول في القصيدة. وقد يشكل حالة جذب وإغراء للمتلقي للدخول في تجربة قراءة النص، أو حالة صد ونفور ومنع. وأيضا قصيدة بعنوان (أغنية الفلامنكو) التي مطلعها:

دمه أزرق
من دماء ملوك الزمان الأنيق
غادر الثلج من أمة
لونها مثل نهر تجمد في ليلة دافئة([٣])

فالقارئ للقصيدة ينشغل ذهنيا بعنوان القصيدة ويتساءل لفترة من هو (فلامنكو)، لذلك فهو يشحن الذهن ويغريه بالتحليل والتأويل لمعرفة مغزاه بحيث لا يبدأ المتلقي في تلقي النص أو في قراءة العمل المبدع من نقطة الصفر. فيرجع قبل الدخول إلى القصيدة يعرف من هو (فلامنكو) ثم يدخل الى القصيدة. وكذلك قصيدة أخرى بعنوان (أغنية في شهر سبايكر) وعنوان آخر (المدونة السابعة حائط البكاء) وأيضا قصيدة (رفيف) و(تقسيم على زند مستوحش فلسطيني) وقصيدة بعنوان (چا). كل هذه العناوين تفرز دلالة إيحائية للقارئ لابد أن يفهمهما قبل الولوج إلى متن القصيدة حتى يفك بها شفرات موضوع القصيدة ودلالتها ومغزاها.

المصادر:

- عتبات جيرار جينيت من النص الى المناص، عبد الحق بلعابد، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠٠٨م
- يقول المغني، عبد الكريم راضي جعفر، دار الفرات الثقافية والاعلام، العراق بابل، ٢٠٠٨ م
- دراسة في البنية الفنية لشعر عبد الكريم راضي جعفر. تغريد مجيد حميد محمود، دار بغداد، ط١، العراق ، ٢٠١٠

[١] – ينظر عنونة الكتب النقدية عند حاتم الصكر: دراسة تحليلية، زهراء خالد يونس الحديدي: ٣٤

[٢] – يقول المغني، شعر عبد الكريم راضي جعفر، دار الفرات الثقافية والاعلام، العراق بابل، ٢٠٠٨ م: ١٣١

[٣] – المصدر نفسه: ١١٣